ما هي طبيعة الله؟
تكوين ١

نحييكم باسمِ الله، ربِ السلام ،في هذه الحلقات، سنقص عليكم قصصَ أنبياءِ الله، واحداً تلوَ الآخر. وهدفُنا أيضاً هو أن نستكشفَ معاً الكتابَ المقدس الذي كتبه الأنبياء، وهو الكتاب الذي يعلنُ طريقَ البر الذي رسمه الله؛ كي ما يتبرر به الإنسان عنده.

في حلقتِنا الأولى من هذا البرنامَج، ناقشنا كتبَ الأنبياء. وتعلَّمنا أن هناك العديدَ من الأنبياء الذين كتبوا أسفارَ الكتاب المقدس، إلا أن هناك مؤلفاً واحداً وحسب. هذا المؤلفُ هو الله. في درسِنا السابق، تركنا لك فكرةً هامة. هذه الفكرة هي أن الله قد تكلم! الله قد كلَّم البشرَ عن طريق الأنبياء، وهو يريدُ أن الجميعَ يستمعون إليه. في كلِّ جيلٍ، كان اللهُ يحمي كلمتَه؛ لأنه ''لا يمكن أن يُنقَض المكتوب'' (يوحنا ١٠:٣٥)، ''فالعالم يمضي .. وأما كلمةُ الربِ فتثبتُ إلى الأبد'' (١يوحنا ٢:١٧ ؛ ١بط ١:٢٥). هذا هو ما يقوله الكتابُ المقدس.

واليوم، سنبحث أولَ جزءٍ في الكتابِ المقدس، وهو ما يُدعَى بـ ''التوراة''. لقد بثَّ الله هذا الكتابَ في ذهنِ رجلٍ يُدعى ''موسى''، وأخبره بما يمكن أن يُكتَب، ثم كَتبَه موسى. ومر حوالي ٣٥٠٠ سنة من وقتِ موسى حتى الآن.
وتتكون التوراةُ من خمسةِ أسفارٍ أو خمسةِ أجزاء. وأولُ سفرٍ هو سفرُ ''التكوين''. وهو يحوي خمسين فصلاً. ويسمَّى هذا السفر سفر ''التكوين''، أي ''بداية''، لأنه يخبرُنا عمَّا حدثَ في البداية .. بدايةِ كلِّ شيء.

ومن المهم لنا أن نعرفَ السفرَ الأوَّل من التوراة معرفةً جيدةً جداً؛ لأنه هو الأساس الذي وضعه الله، كي ما نفهم ما قاله في أسفارِ الأنبياءِ الأخرى التي تتبعه. وفيما ندرسُ هذا الكتاب، ستتعمق معرفتُنا بحقائقَ هامةٍ كثيرة:
.. سنتعلم عن اللهِ وعن طبيعتِه.
.. وسندرسُ عن الشيطانِ والملائكة، وعن السماءِ والأرض، وعن الحيواناتِ والإنسان.
.. وسنرى كيف دخلت الخطيةُ العالم، وجلبت معها الحزنَ والخرابَ العظيم. إلا أننا سنبحثُ بدقة طريقَ الخلاصِ الذي دبَّره الله؛ كي ما يستطيعَ الخطاةُ الرجوعَ إلى الله، ويكون لهم علاقةٌ عجيبةٌ معه.
وفي القصةِ الأولى،
..سنرى أولَ ناسٍ، وأولَ خطيةٍ، وأولَ قاتل.

.. سنقرأ عن أولِ الدياناتِ المزيَّفة، وأولِ الأنبياء، وأولِ الأمم.
.. سنتأمل في قصةِ آدمَ وحواء، وقايين وهابيل، ونوحَ والطوفان، ونبيِّ الله إبراهيم، ولماذا دُعِيَ 'خليل الله'.
.. سنرى إسماعيلَ واسحق، وعيسو ويعقوب، ويوسفَ واخوته الأشرار.
.. حقاً، إن السفرَ الأولَ من التوراة يحتوي على كلِّ هذا وأكثر.

والآن، أصدقائي المستمعين، نطلبُ منكم أن تستمعوا بانتباه، لأنه قد حان الوقتُ أن نبدأ دراستَنا التاريخية لكتبِ الأنبياء.

في السفرِ الأولِ من التوراة، والفصلِ الأول، والعددِ الأول، يقول الكتاب:
''في البدءِ خلق الله السمواتِ والأرض'' (تكوين ١:١).

وهناك شيءٌ في هذا العدد ينبغي أن نأخذَه في الاعتبار، وهو ما الذي كان موجوداً قبلَ أن يَخلِقَ اللهُ السماءَ والأرض؟ ما الذي كان هناك قبل أن يُوجد العالم؟ توضِّحُ لنا كلمةُ الله أنه لم يكن هناك أيُّ شيءٍ موجودٍ، فيما عدا الله. ولذلك يقول الكتاب: ''في البدءِ .. الله''. فكلُّ شيءٍ نراه ونلمَسه له بداية. وبالتالي ففي قديم قديم الزمان،
.. كان هناك وقتٌ حيث لم يكن هناك أيُّ سماءٍ أو أرضٍ، أو محيطٍ أو بحر.
.. في البداية، قبل أن يخلقَ الله السماءَ والأرض، لم يكنْ هناك شمسٌ أو قمرٌ أو نجوم.
.. في البداية، لم يكن هناك بشرٌ أو ملائكة.
.. لقد كان وقتٌ حيث لم يكن هناك أيُّ شيءٍ على الإطلاق مما نراه أو نعرفه اليوم ..لا شيءٍ على الإطلاق، فيما عدا .. الله !

ولهذا نقرأ في أولِ عددٍ من أولِ سفرٍ في الكتابِ المقدس: '' في البداية .. الله خلق السموات والأرض''. إن الكتابَ لا يقولُ : '' في البدءِ .. اللهُ والملائكة ..''، أو '' في البدءِ .. اللهُ والبشر''. ولكنه يقول: ''في البدءِ .. الله''. ففي البدءِ، عندما لم يكن بعدُ شيءٌ قد وُجِد، وقبل أن تُوجدَ الملائكةُ أو البشر .. كان هناك واحدٌ فقط حيٌّ وموجود. هذا الواحد .. كان الله.

وفي عالمِنا هذا، يقولُ البعض: '' إني لا أستطيع أن أرى الله ، وبالتالي فالله غيرُ موجودٍ''.
ولهؤلاء ـ الذين ينكرون وجودَ الله ـ نقول لهم: ''دعونا نسألكم بعض الأسئلة.'' هل عمرك رأيتَ الذرة؟ أو الأكسجين الذي تتنفسه؟ هل عمرك رأيتَ الريح؟ إنك لا تستطيعُ أن ترى الريح، ومع ذلك فإنك تعرفُ أنها موجودة؛ لأنك تستطيعُ أن ترى تأثيرَها. فأنت تستطيعُ أن ترى الأشجارَ وهي تتحرك بفعلِ الريح، ولكن لا أحد يستطيعُ أن يرى الريح. إنك لا تستطيع أن تمسكَ الريحَ في يدِك، ولكنك تستطيع أن تشعرَ بنسيمِها العليل.

.. وهذا هو الحالُ مع الله. فنحن لا نستطيعُ أن نرى الله؛ لأنه لا يُرى بالعينِ البشرية. ومع ذلك، فإننا نعرفُ أن اللهَ موجود؛ لأننا نرى خليقتَه.
يقولُ الكتابُ: ''لأن أمورَه غير المنظورة تُرى منذُ خلقِ العالم ، مدركةً بالمصنوعاتِ قدرتَه السرمدية ولاهوتَه، حتى أنهم بلا عذر.'' (رو ١:٢٠)

هناك شيءٌ آخر يمكننا أن نتعلمَه من العددِ الأول من التوراة، ألا وهو أن اللهَ ليس له بداية. فالله لم يُخلَق في البداية؛ لأنه هو ربُ الأزل. كل ما نراه ونعرفه هنا في العالم، له بداية؛ أما الله فليس له بداية. لم يلدْه أحد، ولم يخلقْه أحد، ولم يخلقْ نفسَه. ولهذا نقرأُ في الكتابِ المقدس: ''في البداية .. الله ..''. الله فقط هو الذي ليس له بداية. هو الوحيدُ الموجودُ دائماً، والحيُّ إلى الأبد. ''الربُ الأزليُّ الأبدي'' هو اسمه.

وهناك شيءٌ آخر يمكن أن نتعلمَه من العدد الذي يقول: ''في البدءِ خلق اللهُ السمواتِ والأرض''، وهو عظمة الرب. الله الذي خلق كلَّ شيءٍ هو أعظمُ من كلِّ شيءٍ ومن كلِّ إنسان. هو ربُّ الخليقة. حقاً، يمكننا أن نعلنَ من كل قلوبِنا أن الرب أعظم من أيِّ شيءٍ في العالم: المحيط، والرياح، والشمس، والنجوم! هو أحكمُ وأقوى من كلِّ الأرواحِ والبشر. الرب أعظمُ وأكبر من أي شيء، ولا يحتاج إلى شيءٍ ولا إلى إنسان. هو الواحدُ العظيم!
والآن، نأتي إلى سؤالٍ هام. وهو إن كانَ اللهُ ليس كالإنسان ، وليس له جسمٌ مثلنا، فما هي طبيعتُه؟ إن الكتابَ المقدس يعطينا إجابةً واضحةً على هذا السؤال.
فهو يقول: ''اللهَ روح ، والذين يسجدون له فبالروحِ والحق ينبغي أن يسجدوا'' (يو ٤:٢٤).
إذاً، ما هي طبيعةُ الله؟ الله روح. الإنسان جسدٌ وروح، ولكن اللهَ روحٌ فقط. وروحُ الله ليس له حدود؛ فهو في كلِّ مكان. اللهُ يعرفُ كلَّ شيء. يعرفُ أفكارَك، ونوايا قلبِك. فالله عظيم!

وهكذا، أصدقائي، فلنحتفظ في أذهانِنا بالحقيقةِ التي سمعناها اليوم: ''في البدء .. الله ..''.
.. فالله فقط هو الذي كان موجوداً في البداية.
.. وبالتالي، فإن اللهَ وحدَه هو الذي يستطيع أن يكشفَ لنا حقيقةَ ما حدث في البداية.
.. واللهُ وحدُه هو الذي يستطيع أن يكشفَ لنا حقيقةَ نفسِه.

وأنتم ـ الذين تستمعون إلينا اليوم ـ هل تعرفون اللهَ معرفةً شخصية؟ أم هو بالنسبةِ لكم مجرد الخالق العظيم البعيد جداً عنكم، والذي لا يمكن معرفتَه ؟
أصدقائي الأعزاء .. إن اللهَ يريدُكم أن تعرفوه، وأن تعيشوا معه للأبد! وكتبُ الأنبياء تعلِّمنا كيف يمكن أن يكونَ لنا علاقةٌ رائعةٌ وحميمةٌ مع الله. إلا أنه علينا أن نفتحَ آذانَنا، وأذهانَنا، وقلوبَنا لما يقوله الله لنا. استمع لما يقوله اللهُ في كلمتِه المقدسة: ''التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي

الأرض، لأني أنا الله وليس آخر.'' (اش ٤٥:٢٢)

نشكرُكم على وجودِكم معنا اليوم. في حلقتنا القادمة ـ إن شاء الله ـ سوف نبحثُ موضوعاً شيِّقاً للغاية، وهو: ''الملائكةُ والشيطان''. هل تعرفُ القصةَ الحقيقية التي تتكلم عن أصلِهم ونشأتِهم؟

وليباركُكم الرب ـ أصدقائي المستمعين ـ وأنتم تتأملون في هذه الآيةِ من الكتاب المقدس :
''اللهُ روح ، والذين يسجدون له فبالروحِ والحق ينبغي أن يسجدوا''.